



تاريخ الفن

للدكتور أحمد موسى

— ١ —

— ❦ —

وفن التمثيل (النحت) وفن الصناعات الدقيقة (الحلي وأدوات الزينة الرفيعة) استعراضاً يرجع في أساسه إلى التقسيم الجغرافى فيأخذ فن كل قطر على حدة ويتبع في ذلك أقدمية الحضارة . وعليه فأول الفنون جميعاً الفن المصرى ويليه البابلي الآشورى والفارسى والهندي والصيني . هذا في الشرق الأدنى والأقصى . ثم يأتى بعد ذلك الفن الإغريق الهائل^(١) ثم الفن الأتروسكى^(٢) والفن الرومانى والفن الإسكندري

أما تاريخ الفن المتوسط فيتناول الفن الميحي القديم والفن البيزنطى الذى كان له أثر ملحوظ في كل البلاد الأوربية المتمدنة التى وجد فيها أثر للفن الرومانى والقوطى

هذا إلى جانب ناحية هامة في تاريخ الفن المتوسط وهى ناحية الفن الإسلامى الذى ظهر في أقطار متباينة وكان ولا يزال محافظاً على طابعه المميز

أما تاريخ الفن الحديث فهو كثير التشعب صعب التقسيم لتقارب الشعوب واتصالها الذى ترتب عليه انتقال الثقافة من أمة إلى أخرى وتأثير مدنية في غيرها، ولاسيما في الفن الألمانى في عهد النهضة من أوله إلى آخره (القرن الرابع عشر (إيطاليا) والخامس عشر والسادس عشر) وما كان للفن في تلك المرحلة من طُرز مختلفة الوضع متشابهة الروح كما أن أقسام الفن إلى باروك Barock وإلى روكوك Rokok كان له أثره الهام في الفن الحديث .

والإنتاج الفنى بعدئذ هو ما يمكن تسميته بالفن المعاصر

لم يقتصر مجهود الجامعات والعلماء على تسجيل الحضارات عن طريق كتب التاريخ القديمة والحديثة بل وجدوا أنه لا بد لهم من الاستعانة بالإنتاج الفنى في مختلف العصور ، إذ أنه المرأة الصادقة التى بها يمكن الوصول إلى نتائج حاسمة في تاريخ الحضارات والمدنيات

ولذلك كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لتطوره على أساس التاريخ العام مع مراعاة أصول علوم أخرى أهمها علم الآثار Archaeologie وعلم قراءة المخطوطات والنقوش القديمة Balaeographie وفن الدراهم والمسكوكات Numismatik وعلم وصف التماثيل والأيقونات القديمة Phonographie وفن علامات وإشارات الأنساب القديمة Horaldik وغير ذلك مما لا يستند فقط إلى السرد أو التاريخ الذى قد يكون متحيزاً أحياناً إلى مبادئ معينة أو غايات مقصودة حيث تدعو الحاجة إلى صبغه بصبغة قومية أو سياسية بذاتها ، مما لا يفتن إليه إلا العارف الباحث في أصوله

وإذا كان المسلك العلمى في التاريخ العام هو تقسيمه إلى قديم ومتوسط وحديث ؛ فإن تاريخ الفن يرجع إلى نفس القاعدة رجوعاً كاملاً ، لما لها من فائدة التبسيط وإيجاد الرابطة بين التاريخ العام وتاريخ الفن

ويتناول تاريخ الفن القديم استعراض فن البناء (العمارة)

(١) راجع في ذلك كله مجلدان الرسالة للغة الرابعة والحامة فقد بسطنا هناك الكلام ووفينا البحث

(٢) الفن الأتروسكى هو فن الشعب الذى استوطن شمال ووسط إيطاليا قديماً ، وقد ظهر هذا الفن حوال عام ١٠٠٠ ق . م وازدهر بين القرنين الثامن والرابع ق . م

أو دراسة ذات غاية ، كما خلت من بيان شاف لتطور الفن في أية مدرسة أو مرحلة زمنية معينة .

ولوحظ أن هذا السلك في التأليف كان الغالب أيضاً في العصر المتوسط ، فكل ما كتب في شأن الفن وتأريخه لم يخرج عن وصف عام للمباني الرائعة وما استنفده تشييدها من مجهود .

أما التأريخ الفني بمعناه الحديث فلم يكن ميسوراً لأولئك ولا لهؤلاء بحال . ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود الفردية تظهر في الأقن رويداً رويداً ، ولا سيما بعد ما التفت المسافرون الراغبون في المشاهدة والعرفة ، وكذلك غيرهم ممن اشتغل بدرس اللغات القديمة ، إلى وجوب معرفة آثار الأقدمين والغاية من إقامتها وما تدل عليه وعلاقتها بالحضارة ، واتخاذها وسائل قيمة للتدليل على اتجاه معين في الدرس والفحص

هنا بدأ تأريخ الفن في الظهور والتطور العلمي . وكان أول أثر لذلك هو إيضاح ما كتبه الأقدمون وما تدل عليه كتاباتهم - عن الآثار التي لم يكن الكثير منها موجوداً حيث كان القدم والإهمال وعدم الرعاية والتغيرات الجوية والمدنية قد طغى كل هذا على معظمها فكانت أثراً بعد عين

فاشتغل فريق من علماء تأريخ الفن بتفسير ما كتبه فيثروفيوس^(١) Vitruvius على حين اشتغل فريق آخر ببش القديم وتفسير الكتابات والنقوش التي وجدت على كثير من الآثار هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فقد قام فريق آخر بمعاينة آثار روما وبعمل رسومات هندسية ومساحية دقيقة عنها ومهما يكن نوع هذه المجهودات والكيفية التي سار عليها أصحابها ، فإنه لا يمكن أن نرجع المحاولات الصائبة في مضمار تأريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر . ولعل أول من نعتبه في مرتبة مؤرخي الفن هو فاساري Vasari بكتابه القيم الشامل لتراجم هامة لرجال الفن في إيطاليا Vite de pin eccellente pittori, architetti e scultori italiana وجاء بعده كارل فان ماندر بكتابه الدهشي « الشهادات » Schilderboek المطبوع في هارلم سنة ١٦٠٤ وفي أمستردام سنة ١٦١٨ ، وكان أقل أثر يذكر له الدعاية للفن ولتأريخه ولتعريف الراغبين ببعض الشيء عنه

(١) فيثروفيوس الكاتب اللاتيني والبناء الحر في حكم قيصر أوغسطس ، ألف عشرة كتب مهداة إلى أغسطس أوضح فيها كل شيء عن العمارة . راجع : 2 Vois., Berlin 1800 Rode, 2 Vois., Berlin 1800

أو إن شئت فقل هو الفن الذي أدى إلى ما نلناه الآن من الفنون المعاصرة ، سواء ما كان منها مدرسياً أو سائراً على الأسس المدرسية ، وسواء ما كان منها متجهاً إلى ما يسمونه الفن الزمري والفن الوصفي والطائفي والانتباسي .

وكان التقسيم المتبع في الفن الفرنسي والفن الإنجليزي هو أن ينظر إليهما تبعاً للمراحل التي مر بها ، ومميزات كل مرحلة منذ القرن السادس عشر ، ولا سيما أن هذه المراحل كانت تسمى بأسماء الملوك والحاكين ، وهذه ظاهرة اختص بها هذان الفنان دون غيرها . وإلى جانب هذه الفنون الحديثة فنون شرقية حديثة أيضاً سارت في طريقها بعض الشيء وتطورت تطوراً غالياً لسابق فنونها ، ولكنها مع هذا ظلت محافظة على طابعها الشرقي المميز . هذه الفنون هي الفن الهندي والفن الياباني والفن الصيني ، التي لم يكن المؤرخ الفني يعمد بدراسة علمية إلا في العصر الحالي أما مهمة تأريخ الفن نحو هذه الفنون جميعاً فهي تكاد تكون نفس الدراسة المرتكزة على قواعد مشابهة لتلك التي اتبعت في تأريخ الأدب في العصر الأخير . وبذلك أصبح التأريخ الفني والنقد الفني والتسجيل الفني علوماً قائمة بذاتها لها أصولها وقواعدها .

ولتأريخ الفن قصته ككل علم آخر . فقد شملت كتب القدماء ما يهم المؤرخ الفني إلى حد كبير ، فكتاب التاريخ الطبيعي لبليديوس^(١) Plinius وكتاب الرحلة لبوزانياس^(٢) Pausanias اشتتملا على بيانات وإيضاحات كثيرة وأوصاف مسهبية عن الفن في العصر القديم ، ولكنها كانت أقرب إلى مجرد الرد مع اشتغالها على أسماء الفنانين ووصف ماتم عمله على أيديهم دون نقد فني

(١) بليديوس الكبير للفرقة بينه وبين ابن أخيه : كاتب روماني ولد سنة ١٣ بعد المسيح في كرمون ومات سنة ٧٩ عند ثورة بركان فيزوف وكل ما ألفه في التاريخ والبلاغة والأجرومية نقد . ولم يبق له سوى كتاب على هيئة دائرة معارف في ٣٧ جزء Historia Naturalis ويشتمل على معلومات مستفدة من كثير من كتب الاغريق واللاتين في التاريخ الطبيعي وفي غيره من المعلومات التي تهم المشتغلين بالعلم .

وهو إلى جانب ما في كتبه من الفوائد الهائلة يعد المرجع القديم في تاريخ الفن — راجع : Kalkwann Die Quellen der Vunstgeschichte des Plinius Berlin 1898

(٢) بوزانياس الكاتب الاغريقي من مقتبسي بآسيا الصغرى سافر أيام هدریان والأنطونين إلى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وسوريا ومصر ولوريا وإيطاليا وألف كتابه الشامل لعشرة أجزاء بين سنة ١٦٠ — ١٨٠ بعد المسيح جزء من هذه الرحلة Periegesis Hellados

وأنم ما كتب في هذه الكتب وصف القطع الفنية الرائعة وهو إلى جانب بليديوس أهم من كتب عن الفن — راجع : Siebelis und Reichardt, Pausanias 9 Vols., Stuttgart 1827-28

في العصر القديم ، والتي كانت ظاهرة للعيان في تلك الأيام
وكان الفضل في انتشار هذا المؤلف ورواجه راجعاً إلى كتاب
آخر ألفه النبيل كالوس^(١) Caylus ونيه أشاد بذكر هذا المؤلف
في كتابه Recueil d'antiquités (سبعة أجزاء طبع بباريس ١٧٥٢ -
١٧٦٧)

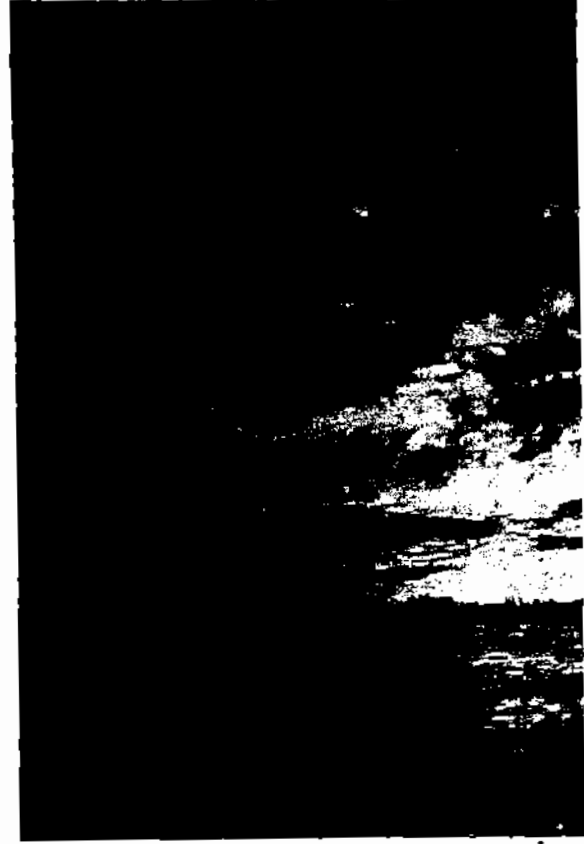
وظل الحال في ألمانيا على ما هو عليه منذ ساندرت إلى القرن
الثامن عشر عند ما أخرج يوهان فردرش كيرست وزميله جيزر
مؤلفيهما العلمي عن الفن القديم . هنا انضم إليهما أهل العلم والفضل
من مدينة درسدن الذين كانوا عاكفين على كتب الفرنسيين لأنها
كانت الكتب التي يمكن الرجوع إليها في ذلك الحين لعدم وجود
غيرها (له بقية) أحمد مرسى



الانسان ...

(١) كالوس أنرى فرنسي مولود في ٣١ أكتوبر سنة ١٦٩٢ سافر
إلى القسطنطينية سنة ١٧١٦ ومنها إلى بلاد الأفرنج وإيطاليا والناطون
البحرية من لاندنا وعاد إلى باريس ١٧١٧ حيث بدأ تنظيم مجموعة تحفه
وتفرغ لدراسة التاريخ القديم وعلم الآثار القديمة وأوقف نفسه على خدمة
الفن والمشتغلين به من الناس
وكان عضو الأكاديمية للتصوير والنحت منذ سنة ١٧٣١ وأكاديمية
المكتوبات القديمة منذ سنة ١٧٤٢ ، ولها أوقف جائزتين خاصتين بكل منهما
مات في ٥ سبتمبر سنة ١٧٦٥ في باريس

وحاء هولاندى آخر هو آرنولد هوبرا كن بكتابه « الواسف
الكبير » Groote Schuburgh في ثلاثة أجزاء ، طبعت في
أمستردام أيضاً سنة ١٧٢٨ ، والتي كانت أساس دراسة الفن
في هولندا كلها



مركبة النور والظلام

أما في ألمانيا فقد ألف المؤرخ يواخيم فون ساندرت كتابه
الباهر « أكاديمية العمارة والنحت والتصوير » المطبوع في نومبرج
سنة ١٦٧٥ - ١٦٧٩ للمرة الأولى ، والذي كتب عنه كل
المشتغلين بالفن من معاصريه كتابه ذات صفة علمية
على أنه من الضروري أن نقول بأن الاشتغال بالتأريخ الفني
كان خلال القرن السابع عشر قاصراً في الغالب على دراسة الفن
القديم . هذا إلى جانب وجوب التنويه بأن بعض المشتغلين بتأريخ
الفن وجهوا اهتمامهم إلى ناحية الفنون الصغرى الدقيقة كأشغال
المعادن وما إليها من أدوات التحلية ؛ وقد ظهر في هذا المجال كتاب
قيم لبرناردى مونفاكو ، وهو مكون من خمسة عشر جزءاً طبع
في باريس سنة ١٧١٩ - ١٧٢٤ L'antiquité expliquée et
représentée en figures طبعاً رائعاً وشمل الكثير من الصور
الجيدة . وهو من دون نزاع أول مؤلف أوضح في جلاء كل الخلفات